

المنظومَةُ الحائِثَةُ

للإمام أبي بكر بن أبي داود السجستاني

مرحمه الله

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري

نص المنظومة

- ١ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى
 وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
 ٢ وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
 أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ
 ٣ وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا
 بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
 ٤ وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا
 كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمٍ وَأَسْجَحُوا
 ٥ وَلَا تَقُلْ: الْقُرْآنُ خَلَقَ قَرَأْتُهُ
 فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ
 ٦ وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً
 كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ
 ٧ وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ
 وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمُسَبِّحُ
 ٨ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا
 بِمُضَدِّاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصَرِّحُ
 ٩ رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ
 فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ
 ١٠ وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ
 وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ
 ١١ وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 بِمَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ
 ١٢ إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ
 فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ
 ١٣ يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يُلْقَى غَافِرًا
 وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ
 ١٤ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ
 أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا
 ١٥ وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَزِيرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ
 ١٦ وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 عَلِيُّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ
 ١٧ وَإِنَّهُمْ وَالرَّهْطَ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
 عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

- سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ ١٨ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ
- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ١٩ وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ٢٠ وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَتَقِنُ فَإِنَّهُ ٢١ دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفِيحُ
- وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ٢٢ وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
- وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ٢٣ مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
- عَلَى النَّهْرِ فِي الْفَرْدَوْسِ تَحِيًا بِمَائِهِ ٢٤ كَحَبَّةِ حِمْلٍ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
- وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ٢٥ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ: حَقٌّ مُوَضَّحُ
- وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ٢٦ فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
- وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ٢٧ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
- وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ ٢٨ أَلَا إِنَّما الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْرَحُ
- وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ٢٩ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
- وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً ٣٠ بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ ٣١ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
- وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ ٣٢ فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ ٣٣ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيْتُ وَتُصْبِحُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^١.

أما بعد فإن دراسة العقيدة والعناية بها نعمة عظيمة من الله جل وعلا، فإن النجاة يوم القيامة إنما علقت على سلامة القلب كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] والقلب السليم هو الذي صُلِحَ اعتقاده، واستقام توحيده، وسار على منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

وموضوع علم الاعتقاد هو العلم بالله - سبحانه وتعالى -، ثم ما تعلق بهذا الأصل. والله - جل وعلا - هو العظيم، فالعلم به أعظم من كل علم، وهو - جل وعلا - الأكبر، فالعلم به أكبر من كل علم، وشرف العلم من شرف المعلوم، والله - تبارك وتعالى - أشرف معلوم فالعلم به أشرف العلوم، فإن وجدت من نفسك همّة لتلقي هذا العلم فاعلم أن هذا من بشائر الخير، فاحمد الله واثبت وزد.

ونحن في زمن متأخر تشتد فيه الغربة على أهل السنة، والمخرج من الفتن التي تنهش في

^١ أصل هذه الأوراق شرح صوتي على حائبة ابن أبي داود كان في شهر شعبان لعام ١٤٤٤هـ، وقد أطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها وخرّج أحاديثها ووثّق نقولها وأعاد صياغة مواضع منها بما يناسب الكتاب المقروء.

هذه الأمة من كل جانب هو بتوفيق الله في العلم الشرعي - علم الكتاب والسنة - وأعلى ذلك وأرفعُه: علم الاعتقاد، فليُشمر المريد لنجاته عن ساعد الجد في تحصيل هذا العلم، فإنه إذا كان شيئاً مهماً في كل وقت فهو في هذا الزمن أهم.

ثم إن دراسة المعتقد تُرقيك في مقامات العبودية التي هي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وقد ذكر الله - تعالى - نبيه باسم العبودية في أشرف مقاماته، فقال - سبحانه - في الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، وفي التحدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وفي الدعاء والعبادة: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] وفي حديث الشفاعة قول عيسى عليه السلام: «**أتوا محمداً عبداً غفر الله له**»^١ فدل على أنه ما نال هذا المقام العظيم إلا بكمال عبوديته لله ومغفرة الله تعالى له، وإذا كانت العبودية عند الله بهذه المنزلة فحريٌّ بالعبد أن يستفرغ وسعه وقواه وطاقته كلها في تحقيقها. وعقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة صافية واضحة مستمدة من نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وهي عقيدة مطابقة للفترة بخلاف العقائد الأخرى المتلقاة من آراء الرجال وأقوال المتكلمين، ففيها الغموض والتعقيد، والخبط والخلط.

وهذه مدارس لحائية ابن أبي داود، وهي خلاصة معتصرة في معتقد أهل السنة والجماعة، أدرك عليها الإمام أبو بكر بن أبي داود مشايخه والأئمة قبله، ولم يزل أهل العلم يتوارثونها إلى اليوم.

ناظمها هو الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني المتوفى سنة ست عشرة وثلاث مئة.

من شيوخه والده أبو داود صاحب السنن.

وقد حدث عن ابن أبي داود خلق كثير من منهم ابن حبان، والدارقطني، وابن شاهين، وابن بطّة.

وكان - رحمه الله - فقيهاً عالمًا حافظًا من كبار علماء المسلمين وأوثق حفاظهم ومن أئمة السلف وأوعية السنّة، قال الذهبي: «وكان من بحور العلم بحيث إنّ بعضهم فضّله على أبيه»^١ وقد قال - رحمه الله - عقب هذه المنظومة: «هذا قولي وقول أبي وقول أحمد ابن حنبل، وقول من أدركنا من أهل العلم ومن لم ندرك ممن بلغنا عنه، فمن قال عليّ غير هذا فقد كذب»^٢.

عدد أبياتها: ثلاثة وثلاثون بيتًا، وهي متواترة عنه كما قال الذهبي^٣ وقد رواها عنه غير واحدٍ من تلاميذه، منهم الحافظ أبو حفص ابن شاهين والآجري ولم يزيّدوا على هذا العدد، وقد زيدت عليها سبعة أبيات^٤، ثلاثة منها لابن البناء كما نبه عليه السفاريني في شرحه لوائح الأنوار السنية^٥، والأربعة الباقية لغيره، وستأتي الإشارة إليها في محلها إن شاء الله. وهذه المنظومة مع وجازتها وقلة ألفاظها تُبيّن بوضوح العقيدة السليمة المطابقة للفطرة

^١ سير أعلام النبلاء (٢٢٣/١٣).

^٢ الشريعة للآجري (٢٥٦٢/٥)، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٥٤/٢)، والعرش للذهبي (٣٦٩/٢).

^٣ انظر: كتاب العلو للحافظ الذهبي ص ٢٢٩.

^٤ انظر: التحفة السنية ص ١١٧-١٢٠.

^٥ (١٠٦/٢).

المبنية على الكتاب والسنة التي من لقي الله بها فقد لقيه بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، وهي شاهد واضح للمقولة المشهورة: "إن كلام السلف قليل كثير البركة"^١. وهذا أوان الشروع في المقصود.

قال الناظم - رحمه الله - :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ
وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهَمٍ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلْ: الْقُرْآنُ خَلَقَ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ



قَالَ الشَّارِحُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ
بدأ - رحمه الله - منظومته بالدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة، وهذه أم قواعد المنهج عند أهل السنة والجماعة في التلقي.

عقيدة أهل السنة والجماعة مبنية على الكتاب والسنة، وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، قال الله - عز وجل - : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣]، وفي حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور

^١ شرح الطحاوية (١/١٩)، وقطف الجنى الداني ص ٧.

فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة^١.

فالكتاب والسنة هما الأساس السليم والمعين الصافي الذي تُبنى عليه العقيدة. وفي حثّ الناظم على التمسك بالقرآن واتباع هُدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معاً إبطالاً لقول طائفةٍ يُسمون القرآنيين يقولون: لا نأخذ إلا بما في القرآن، وهم بهذا يخالفون القرآن، لأن الله - تعالى - أمر في القرآن باتباع السُّنة والتمسك بها، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقد أخبرنا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عن هؤلاء فقال: «يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحدِّث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه، ألا وإن ما حرَّم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مثلُ ما حرَّم الله^٢» وفي رواية^٣: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه».

وقد كان هذا واضحاً تمام الوضوح عند السلف لهذا لما قيل لمطرف بن عبدالله بن الشَّخِير: لا تُحدِّثونا إلا بالقرآن قال: «والله ما نريد بالقرآن بدلاً، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا»^٤ فالسنة تفسر القرآن وتبينه.

^١ أخرجه أحمد (١٧١٤٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٤٥٥) (١٠٧/٨).

^٢ أخرجه أحمد (١٧١٩٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وهو في صحيح الجامع الصغير (٥١٦/١).

^٣ عند أحمد (١٧١٧٣) وأبي داود (٤٦٠٤).

^٤ أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٣٤٩) (١١٩٣/٢).

ولما حدّد النّاطم مصدر التلقي حدّر من مخالفته فقال: **(ولا تك بدعيًا)** حدّر - رحمه

الله - من حال البدعي وهو من ترك الكتاب والسنة، ولم يأخذ دينه منهما.

(لعلك تُفلح) هذه نتيجة التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة البدع.

والفلاح كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة، فمن تمسك بالكتاب والسنة وجانب البدع

أفلح، ومن تنكب سبيلهما ولم يتلق دينه منهما لم يُفلح.

ولما ناظر الشافعي بشرًا وخرج بشرًا قال الشافعي: «لا يُفلح»^١، وقال الشافعي أيضًا: «ما

ارتدى أحد بالكلام فأفلح»^٢ وقال أحمد: «لا يُفلح صاحب الكلام أبدًا»^٣ لذا تجد المتكلمين

الذين عوّلوا على العقول وأوّلوا النقول وبنوا معتقداتهم على علم الكلام المذموم ولم يبنوا

عقائدهم على الكتاب والسنة تجدهم يذمون علم الكلام، ويظهرون الحيرة والندم، فهذا

أبو حامد الغزالي - رحمه الله - من المتمكّنين في علم الكلام يذمه ولا يُنبئك مثل خير، قال

في إحياء علوم الدين^٤: «أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم

والتصميم...» إلى آخر ما قال في مضرته. ثم قال: «وأما منفعته فقد يُظن أن فائدته كشف

الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيئات فليس في الكلام وفاءً بهذا المطلب الشريف،

^١ أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١٠/٩)، والبيهقي في مناقب الشافعي (٢٠٤/١)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦٤/٧).

^٢ أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٦٥/١)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١١/٩).

وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٤٤/٧)، وبيان تلبيس الجهمية (٤٥٨/١) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية وعزاها في مواضع من كتابه للإمام أحمد كما في منهاج السنة النبوية (١٣٩/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٦١/٥).

^٣ درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/٧)، ومنهاج السنة النبوية (١٣٩/٢)، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٨٥٨/٢).

^٤ (٩٧/١)

ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف» وقد نقل شارح الطحاوية هذا عن الغزالي ثم قال^١: «وكلام مثله في ذلك حجةٌ بالغة» وقد رجع الغزالي بعد ذلك إلى طريقة أهل الحديث وصنف كتاب إجماع العوام عن علم الكلام كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^٢. وهذا ابن رشد الحفيد وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم، قال في كتاب تهافت التهافت^٣: «ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يُعتدُّ به». والرازي محمد بن عمر قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات^٤:

نهايةُ إقدامِ العقولِ عقالٌ وأكثرُ سعيِ العالمينَ ضلالٌ
وأرواحنا في وحشةٍ من جُسومنا وحاصلُ دُنيانا أذىٌ ووبالٌ
ولم نستفدْ من بحثنا طولَ عُمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولةٍ فبادوا جميعاً مُسرِّعينَ وزالوا
وكم من جبالٍ قد علَّتْ شُرُفاتها رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالٌ

ثم قال: «لقد تأملت تلك الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تُروِي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

^١ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٣٨/١).

^٢ انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢/٤) و(٣٥٧/١٧)، وذكر ابن القيم في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٨٤٢/٣) عن أبي حامد الغزالي أنه أقبل بعد ذلك على صحيح البخاري فمات وهو على صدره.

^٣ وقد صنف ابن رشد كتابه تهافت التهافت يردُّ به على أبي حامد الغزالي ما ردَّه على الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة.

وقد نقل قول ابن رشد هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١٦٢/١)، وابن القيم في الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٥٠٨/١)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢٤٣/١).

^٤ ذم لذات الدنيا للرازي ص ٢٦٢ قال: «وفي هذا المعنى قلت:» وذكر الأبيات الخمسة.

اسْتَوَى ﴿طه:٥﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ثم قال: «ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل

معرفتي».

وقال آخر^١:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طُرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ

وقد أجاد العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني حين ردّ على هذين البيتين بقوله^٢ على

الوزن والقافية:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوْفَ بِمَعْهَدِ الرَّ رَسُولٍ وَمَنْ وَالَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ

فَمَا حَارَ مَنْ يُهْدَى بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وكذلك أبو المعالي الجويني - رحمه الله - قال: «يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام، فلو

عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلتُ به»^٣ وقال عند موته: «لقد خُضْتُ البحرَ الخِصَمِّ

وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي

برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمِّي أو قال: على عقيدة عجائز

نيسابور»^٤. وقال بعضهم عند موته: «ما عرفتُ مما حصلتُ شيئاً سوى أن الممكن يفتقر إلى

^١ انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني ص ٣

^٢ ديوان الصنعاني ص ٣٤.

^٣ انظر: تلبيس إبليس ص ٧٧، ومجموع الفتاوى ٧٣/٤، وسير أعلام النبلاء (١٨/٤٧٤).

^٤ انظر: المصادر في الحاشية السابقة.

المرجح» ثم قال: «الافتقار وصفٌ سلبي، أموت وما عرفتُ شيئاً»^١.

والخسرو شاهي من أجل تلامذة الفخر الرازي قال لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً: «ما تعتقد؟» قال: «ما يعتقده المسلمون» فقال: «وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟» قال: «نعم» قال: «اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد» وبكى حتى أخضل لحيته^٢.

وقال آخر: «أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي منها شيء»^٣.

وتجد الواحد من هؤلاء عند الموت يرجعُ إلى مذهب العجائز، فيقرّ بما أقرّوا به،

ويُعرض عن ٣

تلك الدقائق التي كان يعتقد أنها الحق الذي لا حق سواه^٤، فالفلاح كل الفلاح في

التمسك بالكتاب والسنة، والتلقي عنهما.

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

ثم قال:

وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

يقول: أقم دينك على الكتاب والسنة، فمن دان بالكتاب والسنة نجا وربح قال تعالى:

^١ شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٤٦/١).

^٢ انظر: الرد على المنطقيين ص ٣٢٧، والتسعينية (٧٧٥/٣) كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٤٦/١).

^٣ انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٦٣/٣)، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (٥٠٨/١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٤٧/١).

^٤ انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٤٧/١).

﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «تكفل

الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»^١.

ثم بعد أن حثَّ على التمسك بالكتاب بين عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله فقال:

وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

قل أيها المتمسك بالكتاب والسنة: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، تكلم الله به، سمعه

جبريل من الله سبحانه وتعالى، ونزل به على قلب نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وبلغه نبيُّنا -

صلى الله عليه وسلم - للأمة: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

والمضافات إلى الله - سبحانه وتعالى - على نوعين:

مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ - سبحانه وتعالى - من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، وذلك إذا كان

المضاف عيناً قائمةً بنفسها، مثل: عبدالله وبيت الله، وناقة الله.

ومُضَافٌ إِلَى اللَّهِ - سبحانه وتعالى - من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وذلك إذا

كان المضاف وصفاً لا يقوم إلا بموصوف مثل: سَمِعَ اللهُ، وَعِلِمَ اللهُ، وَقُدْرَةُ اللهُ، ومنه: كلام

الله، فهذا من إضافة الأوصاف لا من إضافة الأعيان، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾

[الفتح: ١٥] وكان - صلى الله عليه وسلم - يَعْزِضُ نفسه على النَّاسِ في الموسم فيقول: «أَلَا

رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنْ قَرِشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»^٢ الإضافة في هذا كله من

^١ التدمرية ص ٢٤٠، ودرء تعارض العقل والنقل (٤٠٦/٨).

^٢ أخرجه أحمد (١٥١٩٢)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، والنسائي في الكبرى (٧٦٨٠)، وابن ماجه

إضافة الصفة إلى الموصوف، فالقرآن كلام الله، وكلامه سبحانه صفته، وقد قال تعالى:
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فغاير بين الخلق والأمر، والقرآن من الأمر، قال تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قال: (بَذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا) بهذا المعتقد وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق دان
الأتقياء وأفصحوا، فهو معتقدتهم الذي به يدينون وعنه يفصحون ويصريحون في كتبهم
ومصنفاتهم ومجالسهم، والنقول عنهم في ذلك كثيرة، وقد عقد اللالكائي - رحمه الله - في
شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة^١ فصلاً سمي فيه أكثر من خمس مئة نفس من
العلماء كلهم يُقرر أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال: إنه مخلوق فهو كافر.
قال ابن القيم - رحمه الله - في النونية^٢:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّالِكَائِيَّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عِنْدَهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

فهذه طائفة ضلت في هذا الباب، وصرحت بأن القرآن مخلوق، وقد رد عليهم أهل
السنة كما سبق.

وفارقت السنة طائفة ثانية ضلوا في هذا الباب، وهم الواقفة الذين قالوا: القرآن كلام الله
ولا نقول: مخلوق ولا نقول: غير مخلوق بل نتوقف، وهذا مقام لا يسع فيه التوقف بل لا بد
فيه من الإفصاح والتصريح حتى تستبين سبيل المجرمين، فهؤلاء تأثروا ببدعة الجهمية ولم

(٢٠١)، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٩٤٧) (٤/٥٩١).

^١ (٣١٢/٢).

^٢ ص ٤٩.

يستطيعوا الإفصاح بالمعتقد الحق، لذا قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "الواقفة جهمية" ،
وجعلهم الناظم هنا أتباعاً لجهنم فقال - رحمه الله -:

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لَجْهِمٍ وَأُسْجَحُوا

قوله: **(وَأُسْجَحُوا)** أي سمحت بذلك نفوسهم ولانت به.

وهو معنى النسخة الأخرى: **(وَأُسْمَحُوا)**.

وخالفت السُّنَّة طائفةً ثالثة أشار إليها بقوله:

وَلَا تَقُلْ: الْقُرْآنُ خُلِقَ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وفي قوله: **(خُلِقَ قَرَأْتُهُ)** اختلفت النسخ والتي في شرح السفارينى: **(خُلِقَ قِرَاءَةً)** فيكون

القرآن مبتدأً وخلق خبره و**(قِرَاءَةً)** منصوبٌ على الحال أو بنزع الخافض، هذا الذي في شرح السفارينى وبهذا أعربه.

وهذه هي الطائفة الثالثة التي فارقت المعتقد الحق في القرآن، وهم اللفظية الذين

يقولون: "لفظي بالقرآن مخلوق"، وهي بدعةٌ نشأت عن بدعة الجهمية، لذا قال الإمام

أحمد - رحمه الله -: "اللفظية جهمية"^١، وذلك أن اللفظ مصدر وهو يحتمل الملفوظ به

وهو كلام الله تعالى غير مخلوق، ويحتمل التلفظ وهو فعلُ العبد، فاللفظ مشتركٌ بين

الملفوظ به وهو كلام الله وبين التلفظ وهو فعلُ العبد.

قال ابن القيم - رحمه الله - في النونية:

فَاللَّفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فَعْلُنَا كَتَلَفُظٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

^١ انظر: التسعينية (٣٧٩/٢).

^٢ انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٢/٢)، والجامع لعلوم الإمام أحمد - العقيدة (٥٥٩/٣).

وكذاك يَصْلُحُ نَفْسَ مَلْفُوظٍ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ فِذَانِ مُحْتَمَلَانِ

فلذاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي نَفْيِ وَإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانِ

وهذا معنى قوله - رحمه الله -: (فإنَّ كَلامَ الله بِاللَّفْظِ يُوضَحُ) أي لأن اللَّفْظَ يُطْلَقُ عَلَى

كلام الله فإذا قُلْتَ: لفظي بالقرآن مخلوق احتمل أن يكون المقصودُ الملفوظُ به وهو القرآن

كلام الله، لذا كان السلف يقولون: "الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري"^١.

وقال الإمام أحمد: «القرآن كلام الله حيثُ تَصَرَّفَ»^٢ مراده: سواءً حُفِظَ في الصدور أو

كُتِبَ في السطور أو تُلِيَ باللسان أو سُمِعَ بالآذان، فهو كلام الله حيثما توجَّه.

وقال الشيخ حافظ الحكمي في سُلَمِ الوصول^٣:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلُ بَأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ

عَنِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرَى

يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ، وَبِاللِّسَانِ يُتْلَى، كَمَا يُسَمَعُ بِالْآذَانِ

كَذَا بِالْأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ وَبِالْأَيْدِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٍ حَقِيقَةٍ دُونَ كَلَامِ بَارِي الْخَلِيقَةِ

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ

فَالصَّوْتُ وَالْأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي لَكِنَّمَا الْمَثَلُ قَوْلُ الْبَارِي

هذا الذي قاله السلف: "الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري"، فلا بد من

البيان والتفصيل. لذا قال ابن القيم - رحمه الله - بعد كلامه عن هذه المسألة في النونية^٤:

^١ معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢٩٣/١).

^٢ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١١/١٢).

^٣ معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣٠/١).

^٤ ص ٥٧.

فعليك بالتفصيل والتمييز فال إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا ال أذهان والآراء كل زمان
وهذا لا يختص بهذه المسألة، بل يشمل كثيرا من المسائل.

قال الناظم - رحمه الله - :

وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كما البدر لا يخفى وربك أوضح
وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبه تعالى المسبح
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا بمصدق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمد فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح
وقد ينكر الجهمي أيضا يمينه وكلتا يديه بالفواضل تنفع
وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمين بفضله فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول: ألا مستغفر يلق غافرا ومستمنح خيرا ورزقا فيمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا



قال الشارح - وفقه الله - :

وقل: يتجلى الله للخلق جهرة كما البدر لا يخفى وربك أوضح
(وقل) يا من تمسكت بالكتاب والسنة (يتجلى الله للخلق جهرة) التجلي في اللغة:
الظهور ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ (يتجلى الله للخلق جهرة) فيراه
المؤمنون.

قله أيها السنّي غير شاك ولا متردد فقد دل على ذلك كتاب الله والسنة المتواترة عن النبي -

صلى الله عليه وسلم - وأجمع على ذلك أهل السنة.

أعظم نعيم: رؤية وجه الله الكريم قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا

نَازِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]

استدل بها على رؤية الله في الآخرة مالك والشافعي^١، وذلك أنه لما حُجِبَ أعداؤه فلم يروه

تجلى لأوليائه حتى رأوه، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وقد فسر

النبي - صلى الله عليه وسلم - الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، ففي صحيح مسلم^٢ عن

صهيب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا

الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ

رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

وفي الصحيحين^٣ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن ناسًا قالوا لرسول الله - صلى الله

عليه وسلم -: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فقال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ

الْبَدْرِ؟ قالوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قالوا: لَا يَا

رَسُولَ اللَّهِ قال: فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ».

^١ انظر: تفسير البغوي (٣٦٦/٨)، وزاد المسير (٤١٦/٤)، وتفسير القرطبي (٢٦١/١٩).

^٢ (١٨١).

^٣ أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

وفي الصحيحين^١ من حديث جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - الذي أشار إليه ابن أبي داود في النظم أنه قال: **كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».**

قال ابن القيم - رحمه الله - في النونية^٢:

وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي الدُّنْيَا
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ سِوَى
جَنَّاتٍ مَا طَابَتْ لَدَى الْعِرْفَانِ
وَخُطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
سَبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ
هُمْ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
هَذَا النَّعِيمُ فَحَبِّذَا الْأُمُرَانِ

ولما رأى النسوة يوسف - عليه السلام - ذَهَلْنَ عَنْ شَعُورِهِنَّ بِمَا رَأَيْنَ مِنْ جَمَالِهِ، فَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَلَمْ يُحْسِنَنَّ بِالْكَفِّ الْقَطْعَ، وَهَذَا فِي رُؤْيَا مَخْلُوقٍ مُحَدَّثٍ لَهُ مِنْ يُقَارِبُهُ وَيُدَانِيهِ فِي الْجَمَالِ، وَإِنَّمَا فَاقَ بَنِي جَنْسِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ لَهُ الْجَمَالُ كُلُّهُ، وَالْكَمَالُ كُلُّهُ، وَنَسْبُهُ كُلُّ جَمَالٍ فِي الْوُجُودِ إِلَى جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ أَقْلٌ مِنْ نَسْبَةِ سِرَاجٍ ضَعِيفٍ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ»^٣.

^١ أخرجه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

^٢ ص ٢٨٩.

^٣ مدارج السالكين (٣٣٦/٤).

قال - رحمه الله - في النونية^١:

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا
من بعض آثار الجميل فربها
وجمال سائر هذه الأكوان
أولى وأجدر عند ذي العرفان
وقال - رحمه الله - في الميمية:

ولله أبصار ترى الله جهرة
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة
فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
أمن بعدها يسألو المحب المتيم!
وقال في غيرها:

وراء هاتيك الستور محجب
لو أبصرت عيناك بعض جماله
بالحسن كل العز تحت لوائه
لبذلت منك الروح في إرضائه
ما طابت الدنيا بغير حديثه
كلا ولا الأخرى بدون لقائه
وقد ثبت في دعائه - صلى الله عليه وسلم - : «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق
إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» أخرجه النسائي^٢ من حديث عمار بن ياسر
رضي الله عنهما.

(كما البدر لا يخفى) البدر: القمر ليلة الرابع عشر حين يمتلئ نوراً (وربك أوضح) يراه
المؤمنون عياناً بأبصارهم على الحقيقة.

وإثبات الرؤية لا يستلزم التشبيه لذا قال الناظم - رحمه الله -:

وليس بمولود وليس بوالد
وليس له شبه تعالى المسبح
ما في هذا البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

^١ ص ١٧٥.

^٢ (١٣٠٥) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (١٣٠١) (٢٧٩/١).

[الإخلاص: ٣-٤] لَمْ يَلِدْ فَلَيْسَ بِوَالِدٍ، وَلَمْ يُولَدْ فَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

(تعالى المُسَبِّحُ) المُنَزَّه عن كل نقص، أو (تعالى المُسَبِّحُ) لأن الله - سبحانه وتعالى -

سَبَّحَ نَفْسَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

وقد ينكرُ الجهميُّ هذا وعندنا بمصدقٍ ما قلنا حديثٌ مُصَرَّحٌ
(وقد يُنكرُ الجهميُّ) المتأثرُ بالجهم بن صفوان (هذا) أي يُنكرُ رؤية الله تعالى (وعندنا بمصدقٍ ما قلنا) وهو إثبات الرؤية (حديثٌ مُصَرَّحٌ) صريح الدلالة على إثبات الرؤية وقد قال الإمام أحمد: «من ينكر الرؤية فهو جهمي».

قوله: (رواه جريرٌ عن مقالٍ مُحَمَّدٍ) يُشير إلى حديث جرير السابق: «أَمَّا أَنْكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» متفقٌ عليه^١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "وهذا الحديث من أصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول المجمع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السُّنَّة"^٢.
ثم قال - رحمه الله -:

وقد يُنكرُ الجهميُّ أيضًا يمينَهُ وكلتا يديه بالفواضلِ تنفَعُ
(بالفواضل) أي بالخير والجلود (تنفَعُ) أي تُعطي وتَمْنَحُ.
منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الصِّفات قائمٌ على أصليْن:
إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تعطيل.

^١ سبق تخريجه قريباً.

^٢ مجموع الفتاوى (٤٢١/٦).

فأهل السُّنَّة يثبتون الصِّفَات التي أثبتها الله لنفسه دون تمثيل بصفات المخلوقين، ويُنزِّهون الله تعالى عن نقص الصِّفَات وعن مشابهة المخلوقات دون تعطيل، فأخذوا بالحسنين الإثبات والتنزيه، وسلموا من الإساءتين التمثيل والتعطيل، وقد ضل في هذا الباب طائفتان: المُمَثِّلَة الذين يُمثِّلون صفات الله تعالى بصفات الخلق، والمُعْطَلَة الذين يجحدون صفات الله تعالى وينفونها.

ولنُعَيِّم بن حمَّاد الخُزَاعِي كلمةً جليَّةً تُبَيِّن وسطية أهل السُّنَّة والجماعة بين المُمَثِّلَة والمُعْطَلَة، ذكرها الذهبي في ترجمة ابن قتيبة من سير أعلام النبلاء^١ قال الذهبي: «وما أحسن قول نُعَيْم بن حمَّاد الذي سمعناه بأصح إسناد عن محمد بن إسماعيل الترمذي أنه سمعه يقول: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً».

وقد قال أهل العلم: «المُشَبَّه يُعْبَدُ صَنَمًا، والمُعْطَلُ يُعْبَدُ عَدَمًا»^٢.

قال ابن القيم في النونية^٣:

لَسْنَا نُشَبِّهُ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا إِنَّ الْمُشَبَّهَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
كَلاَّ وَلَا نُخْلِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ إِنَّ الْمُعْطَلَّ عَابِدُ الْبُهْتَانِ

ولابد من معرفة ثلاث قواعد في باب الأسماء والصفات.

الأولى: أنه لا أعلم بالله من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]

والثانية: أنه لا أحد من الخلق أعلم بالله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال -

^١ (٢٩٩/١٣).

^٢ انظر: مجموع الفتاوى (١٩٦/٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣٤٨/٦)، ومنهاج السنة النبوية (٥٢٦/٢).

^٣ ص ١٧٤.

صلى الله عليه وسلم - كما في البخاري^١: «إِنَّ أَتَقَاتُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا».

الثالثة: أن الله تعالى بالنسبة لنا غيبٌ لم نره، فلا مجال للكلام في هذا الباب إلا بتوقيف.

فالحق في باب الصفات أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله -

صلى الله عليه وسلم - ولا نتجاوز القرآن والحديث.

قال - رحمه الله -:

وقد يُنكرُ الجهميُّ أيضًا يمينَهُ وِكلتا يَدَيْهِ بالفَواضِلِ تَنفَحُ

اليدان من الصفات الثابتة لله تعالى، قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال

تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]،

وفي صحيح مسلم^٢ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «وكلتا يديه يمين».

وفي الصحيحين^٣ قوله - صلى الله عليه وسلم -: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء

الليل والنهار، أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه».

ثم قال - رحمه الله -:

وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

أخرج البخاري^٤ ومسلم^٥ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - قال: «ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل

^١ (٢٠).

^٢ (١٨٢٧).

^٣ أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

^٤ (١١٤٥).

^٥ (٧٥٨).

الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»
وأحاديث النزول متواترة، وقد رواها نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة^١، وهذا يدل
على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حدّثهم بهذا غير مرة، وهو -صلى الله عليه وسلم-
أعلم الخلق بالله وأفصحهم وأنصحهم للأمة، ومع اجتماع هذه الثلاثة كمال علم النبي -
صلى الله عليه وسلم- برّبّه وفصاحته ونُصحه للأمة يمتنع ويستحيل أن يُريد بكلامه غير
ظاهره في أشد ما تحتاج إليه الأمة وهو العلم بالله، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول:
«ينزل ربنا»^٢ ويقول: «إنكم سترون ربكم»^٣ ويُقرّ الجارية على أنه -سبحانه وتعالى- في
السماء^٤، ثم يكون المقصود بكل هذا خلاف ظاهره هذا من أبين المحال، وأبطل الباطل،
وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- قصة حصلت لشيخه عبدالله ابن تيمية -وهو أخو شيخ
الإسلام أحمد ابن تيمية- مع بعض الجهمية في فصل عقده في الصواعق المرسلة^٥ في أنه
يستحيل مع علم المُتكلّم وفصاحته ونُصحه أن يُريد بكلامه غير ظاهره، وكيف أنه أفحم
هذا الجهمي بأنه يستحيل مع توفر هذه الثلاثة أن يراد بالكلام غير ظاهره، وكأن ابن القيم -
رحمه الله- كان مستحضراً هذه القصة حين قرر هذا المعنى في النونية بأحسن تقرير، وألطف
أسلوب، فقال -رحمه الله-:

فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

^١ الصواعق المرسلة ص ٤٤٤، وانظر: التسعينية (٣/٩١٤).

^٢ سبق تخريجه.

^٣ سبق تخريجه قريباً.

^٤ أخرجه مسلم (٥٣٧).

^٥ (٣٢٠/١).

ماذا تقول أكان يعرف ربه
 أم لا وهل كانت نصيحته لنا
 أم لا وهل حاز البلاغة كلها
 فإذا انتهت هذه الثلاثة فيه كما
 فلأي شيء عاش فينا كاتمًا
 لهذا الرسول حقيقة العرفان
 كل النصيحة ليس بالخوان
 فاللفظ والمعنى له طوعان
 ملة مبرأة من النقصان
 للنفي والتعطيل في الأزمان

هو عالم بالله وناصح للأمة وقادر على الإبانة، فلماذا لم يُصرّح ولو مرة واحدة بأنه استولى، وليس استوى، وبأنه ينزل أمره أو ينزل ملك من ملائكته، وليس ينزل هو سبحانه وتعالى، قال - رحمه الله -:

فلأي شيء عاش فينا كاتمًا
 بل مفصّحًا بالضد منه حقيقة الـ
 ولأي شيء لم يُصرّح بالذي
 ألجّزه عن ذلك أم تقصيره
 حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التـ
 للنفي والتعطيل في الأزمان
 إفصاح موضحه بكل بيان
 صرّحتم في ربنا الرحمن
 في النصّح أم لحفاء هذا الشأن
 تعطيل لا المبعوث بالقرآن

وهذا الدليل كما ذكر ابن القيم يقضي على التعطيل بالبطلان.

قال - رحمه الله -:

وقل ينزل الجبار في كل ليلة
 بلا كيف جل الواحد المتمدّح

مقولة الإمام مالك في الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به

واجب، والسؤال عنه بدعة» قد أنبتها الله نباتًا حسنًا في قلوب أهل السنة، فأجروها في كل

الصفات، فكما يقولون: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال

عنه بدعة» فكذلك يقولون في النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب،

والسؤال عنه بدعة. وكذلك في بقية صفات الله سبحانه وتعالى^١.

وحديث النزول قال عنه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في النقض^٢: «إنه أغبط حديث للجهمية» فهذا الحديث فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى، وإثبات النزول، وإثبات الكلام. وكون ربنا - سبحانه وتعالى - ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر لا ينافي علوه - سبحانه وتعالى -، فما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر فيهما من علوه وفوقيته، فإنه - سبحانه وتعالى - ليس كمثله شيء في جميع نعوته فهو عليّ في دنوه، قريب في علوه، قاله في الواسطية^٣.

وعقده نظماً الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - في قوله^٤:

وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوهِ وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ

مسألة: قول الناظم:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِمَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

أين تجد فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى؟ الجواب: في قوله (ينزل) فإنه يدل على إثبات العلو لله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الذهبي - رحمه الله - هذه المنظومة في كتاب العلو^٥ وليس فيها التصريح بذكر العلو، لكنه يؤخذ من هذا البيت.

مسألة أخرى: وأين تجد في هذا البيت أن صفة النزول لله - سبحانه وتعالى - لا تنافي

^١ انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٤).

^٢ نقض الدارمي على المريسي (٥٠٠/١).

^٣ العقيدة الواسطية بشرح الشيخ ابن عثيمين (٩٢/٢).

^٤ معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢٩/١).

^٥ انظر: العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمتها للحافظ الذهبي ص ٢٠٩.

العلو؟ الجواب: في قوله: (الجبار) فإن له ثلاثة معانٍ: منها العالي، فيمكن أن تأخذ من هذا

البيت أن نزول ربنا - سبحانه وتعالى - لا ينافي علوه سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم - رحمه الله - في النونية^١:

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه داني
والثان جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو و فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم: جبارة للنخلة الـ علوا التي فأت لكل بنان

النخلة العالية يقال لها: جبارة، فاسم الله الجبار من معانيه: العالي.

ثم قال - رحمه الله -:

إلى طبق الدنيا يمن بفضلِهِ فتفرج أبواب السماء وتفتح
هذا عقد لتتمة حديث النزول السابق.

يقول: ألا مستغفر يلق غافرا ومستمح خيرا ورزقا فيمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا

قال الشيخ حافظ الحكمي في سلم الوصول^٢:

وقد روى الثقات عن خير الملائكة بأنه عز وجل وعلا
في ثلث الليل الأخير ينزل يقول: هل من تائب فيقبل
هل من مسيء طالب للمغفرة يجد كريما قابلا للمعذرة
يمن بالخيرات والفضائل ويستر العيب ويعطي السائل

^١ ص ١٨٠.

^٢ معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣٠/١).

قال الناظم - رحمه الله - :

وقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 ورابعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ
 وإنَّهُمْ والرَّهْطَ لَا رَيْبَ فِيهِمْ
 سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ
 وقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
 فقد نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ
 وبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَتَقِنُ فَإِنَّهُ
 وزيراهُ قَدَمًا ثُمَّ عِشْمَانُ الْأَرْجَحُ
 عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ
 عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ
 وعامرٌ فِهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدِّحُ
 وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
 وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
 دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالِدَيْنِ أَفِيحُ

**قَالَ الشَّارِحُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - :**

انتقل الناظم - رحمه الله - إلى ذكر معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة، وبذكر

الصحابة تترين المجالس، قالت عائشة - رضي الله عنها - : «**زَيَّنُوا مَجَالِسَكُمْ بِذِكْرِ عَمْرٍ**»^١.

وقد جاءت في فضلهم - رضي الله عنهم وأرضاهم - آيات كثيرة، لو نظرنا فقط في سورة

الفتح التي قال فيها: **(وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ)**

في الصفحة الأولى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ

إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي الصفحة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وفي الصفحة الثالثة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا

الدرس الثالث

^١ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨٠/٤٤).

فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨] زكى باطنهم بعد أن زكى ظاهرهم.

وفي الصفحة الرابعة: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

وفي الصفحة الأخيرة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي صغاره ﴿فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ أي فقوي وغلظ وقام على سيقانه ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] هذا مثل ضرب به الله للصحابه فهم كالزراع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم.

وفي سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وفيها: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي السُّنَّة أحاديث كثيرة منها ما في الصحيحين^١: «خير النَّاسِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وفيهما^٢ أيضًا: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نصيفه».

قال - رحمه الله -:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عَثْمَانُ الْارْجَحُ
(وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدَمًا) وهما أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -
كانا وزيري صدقٍ للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقد روي عند الترمذي^٣ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من نبيٍّ إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيرا من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيرا من أهل الأرض فأبو بكر وعمر» وإسناده ضعيف^٤، إلا أن فضلهما ثابت في أحاديث كثيرة، منها ما في الصحيحين^٥ عن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يا رسول الله أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: عائشة، قال: فقلتُ: من الرجال؟ قال: أبوها، قال: فقلتُ: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب».

قال: (ثُمَّ عَثْمَانُ الْارْجَحُ) يُشير إلى خلافٍ حصل بين السلف في المفاضلة بين عثمان وعلي - رضي الله عنهما -، منهم من قدَّم عثمان - رضي الله عنه - وهم الأكثر من السلف،

^١ أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

^٢ أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

^٣ (٣٦٨٠).

^٤ انظر: ضعيف الجامع الصغير (٥٢٢٣) ص ٧٥٤.

^٥ أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

ومنهم من قدّم علياً - رضي الله عنه - ومنهم من توقف، لذا قال:

..... ثم عثمانُ الأَرَجُ

ورابعُهُم خيرُ البريّةِ بَعْدَهُم عليُّ حَلِيفُ الخيرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

لكن استقر أمر أهل السُّنَّة على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وقد قال ابن

عمر - رضي الله عنهما - كما في صحيح البخاري^١: «كنا في زمن النَّبِيِّ - صلى الله عليه

وسلم - لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النَّبِيِّ - صلى الله عليه

وسلم - لا نُفاضل بينهم».

وقال عليُّ - رضي الله عنه -: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر» قال الذهبي في

تاريخ الإسلام^٢: «هذا والله العظيم قاله عليُّ - رضي الله عنه -، وهو متواتر عنه».

(ورابعُهُم خيرُ البريّةِ بَعْدَهُم عليُّ حَلِيفُ الخيرِ) أي أنه ملازمٌ للخير (بالخيرِ مُنْجِحُ) من

النجاح وهو تحصيل المقصود.

قال - رحمه الله -: (وإنَّهُم) هؤلاء المذكورين - وهم الخلفاء الأربعة - وكذلك بقية

العشرة الذين سيذكرهم (وإنَّهُم والرَّهْطُ) وفي بعض النسخ: (وإنَّهُم للرَّهْطُ) والرَّهْطُ: عشيرة

الرَّجُل من الثلاثة إلى العشرة (لا ريب فيهِم) لا ريب في مكانتهم ومنزلتهم، ولا شك أنهم في

الجنة (على نُجْبِ الفردوس) النجيب من المال: أنفسه وأكرمهم، والفردوس: أعلى الجنة،

والمراد أنهم يسرحون في الجنة على النُّجْبِ الكريمة (بالنُّورِ تَسْرَحُ) والمعنى: تسرح بمن

عليها من أهل النور والبهاء أي تذهب في الجنة حيث شاء راکبها، وفي بعض النسخ: (في

^١ (٣٦٩٧).

^٢ (١١٥/٣).

الخُلْدِ تَسْرَحُ)، في صحيح مسلم^١ عن أبي مسعود الأنصاري -رضي الله عنه- أنه قال: جاء رجلٌ بناقةٍ مخطومةٍ فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة»**.

سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ وعامرٌ فهِرٌ والزُّبَيْرُ المُمَدِّحُ

هؤلاء الستة بقية العشرة جمعهم في بيت.

(**سعيدٌ**) هو سعيد بن زيد (**وسعدٌ**) هو سعد بن أبي وقاص (**وابنُ عوفٍ**) هو عبدالرحمن ابن عوف (**وطلحةٌ**) هو طلحة بن عبيدالله (**وعامرٌ فهِرٌ**) هو أبو عبيدة عامر بن الجراح (**والزُّبَيْرُ المُمَدِّحُ**) هو الزبير بن العوام، فهؤلاء الستة مع الخلفاء الأربعة هم العشرة المبشرون بالجنة، وإنما قيل لهم: العشرة المبشرون بالجنة؛ لأنهم جمعهم حديث واحد وهو ما أخرجه أحمد^٢ والترمذي^٣ عن عبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«أبو بكرٍ في الجنة، وعمرٌ في الجنة، وعثمانٌ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةٌ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ في الجنة، وسعدٌ في الجنة، وسعيدٌ في الجنة، وأبو عبيدة بنُ الجراح في الجنة»** وإلا فالمبشرون بالجنة من الصحابة عددٌ كبير منهم:

بلال بن رباح -رضي الله عنه- فقد قال له النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: **«يا بلال**

حدّثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يدي في الجنة»^٤.

^١ (١٨٩٢).

^٢ (١٦٧٥).

^٣ (٣٧٤٧).

^٤ أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).

وعكاشة بن محصن - رضي الله عنه - لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال له عكاشة - رضي الله عنه - : «ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنتَ منهم»^١.

وخديجة - رضي الله عنها - قال جبريل - عليه السلام - للنبي - صلى الله عليه وسلم - «اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا - عَزَّ وَجَلَّ - وَمِنِّي وَبَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»^٢.

وثابت بن قيس بن شماس - رضي الله عنه - قال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - : «هو من أهل الجنة» قال أنس - رضي الله عنه - : «وكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة»^٣.

والحسن والحسين - رضي الله عنهما - قال - صلى الله عليه وسلم - : «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^٤.

وآل ياسرٍ عمارٌ وأبوه ياسرٌ وأُمُّهُ سَمِيَّةٌ - رضي الله عنهم - مرَّ بهم النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وهم يُعَذِّبُونَ فقال: «صَبْرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة» أخرجه الحاكم^٥، وفي رواية له^٦: «أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

^١ أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

^٢ أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

^٣ أخرجه أحمد في المسند (١٢٣٩٩)، وصححه إسناده محققه.

^٤ أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٣/٢).

^٥ (٥٦٤٦)، وهو في صحيح السيرة النبوية للألباني ص ١٥٤.

^٦ (٥٦٦٦) وصححه الحاكم والذهبي.

وحمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم - : «سيد الشهداء

حمزة بن عبد المطلب»^١.

وفاطمة بنت نبينا - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها - قال لها النبي - صلى الله عليه

وسلم - : «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين»^٢.

وعبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كما في

صحيح البخاري^٣ : «ما سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول لأحدٍ يمشي على

الأرض : إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام».

وقد أوصلهم الشيخ عبد العزيز السلطان - رحمه الله - في شرحه على الواسطية المسمى

الكواشف الجلية عن معاني الواسطية^٤ إلى واحدٍ وأربعين، ولو تتبعهم متبع ل زادوا على هذا

العدد.

وفي بعض نسخ المنظومة زيادة سبعة أبيات في هذا الموضع - على اختلاف في رواية

بعضها - وهي :

وفاطمة ذات النِّقَاءِ تَبَحَّبَحُوا	وَسَبَطِي رَسُولِ اللَّهِ وَابْنِي خَدِيجَةَ
معاوية أكرم به فهو مُصْبِحُ	وعائش أم المؤمنين وخالنا
بنصرهم عن ظلمة النار زُخِرُوا	وأنصاره والهاجرون ديارهم
حَذُوا حَذْوَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا	ومن بعدهم والتابعون بحسن ما

^١ أخرجه الحاكم (٤٨٨٤) وهو في السلسلة الصحيحة (٧١٦/١).

^٢ أخرجه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

^٣ (٣٨١٢).

^٤ ص ٦٨٩.

ومالكُ والثوريُّ ثم أخوهمُ أبو عمرو الأوزاعيُّ ذاك المُسَبِّحُ
ومَن بعدهمُ فالشافعيُّ وأحمدُ إماما هُدى مَن يتبعُ الحقَّ يُفصِّحُ
أولئك قومٌ قد عفا الله عنهمُ وأرضاهم فأحبَّهم فإنك تفرحُ

هذه الأبيات السبعة ليست لابن أبي داود، وجميع من روى القصيدة من تلاميذه لم يذكرها هذه الزيادة، منهم أبو حفص ابن شاهين الذي روى الذهبي بإسناده هذه القصيدة من طريقه في كتاب العلو^١ وثلاثة من هذه الأبيات السبعة لابن البناء البغدادي المتوفى سنة إحدى وسبعين وأربع مئة وهو ممن شرح المنظومة^٢.

نبه على هذا السفاريني - رحمه الله - في شرحه لوائح الأنوار السننية^٣ والأبيات الثلاثة التي زادها ابن البناء هي: (وعائش أم المؤمنين...) والثاني: (وأنصاره والهاجرون...) والثالث: (ومن بعدهم والتابعون...) والأبيات الأربعة الباقية لا يُدرى لمن هي، ولا شك أن معناها صحيح، لكنها ضعيفة الوزن والتركيب، والبيتان الخامس والسابع منها غير موزونين.

قال - رحمه الله -:

وقل خير قولٍ في الصحابة كُلِّهم ولا تك طعناً تعيبُ وتجرحُ
فقد قال الله تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وأستيتهم لأصحاب رسول الله - صلى

^١ ص ٢٠٩.

^٢ واسم شرحه: الأصول المجردة على ترتيب القصيدة المجودة.

^٣ (١٠٥/٢).

الله عليه وسلم-، فالواجب التعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضي والتفضيل على سائر الأمة.

(ولا تك طعناً تعيب وتجرح) فالواجب السكوت عما شجر بينهم، في الصحيحين^١ قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدِهِم ولا نصيفه».

وقد ورد عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»^٢ أي إذا ذكروا بغير الجميل فأمسكوا.

وفي صحيح مسلم^٣ عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت لعروة بن الزبير -رحمه الله- : «يا ابن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسبّوهم».

وقال عمر بن عبد العزيز: «تلك دماءٌ طهر الله منها يدي فلا أحبّ أن أخضب بها لساني»^٤.

وقال آخر وقد سئل عما شجر بينهم: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾^٥.

وقد قال القحطاني في النونية^٦:

^١ أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

^٢ أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٨)، وصححه الألباني لشواهد في السلسلة الصحيحة (٣٤) (٧٥/١).

^٣ (٣٠٢٢).

^٤ تفسير القرطبي (٣٢٢/١٦)، ومنهاج السنة النبوية (٢٥٤/٦).

^٥ انظر: المصدرين السابقين.

^٦ ص ٢٨.

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقتلهم لهم وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما تحوي صدورهم من الأضغان
وهذه الأخبار لا تؤخذ من كتب التاريخ التي لا يُميّز فيها بين الغث والسمين، وإنما

تؤخذ من صحيح السنة قال القحطاني في النونية^١:

لا تقبلن من التواريخ كل ما جمَعَ الرواة وخطَّ كل بنان
ازو الحديث المنتقى عن أهله سيما أولي الأحلام والأسنان
كابن المسيب والعلاء ومالك والليث والزهري أو سفيان
قال - رحمه الله -:

فقد نطق الوحي المبين بفضلهم وفي الفتح أي للصحابة تمدح

وقد سبق قريباً ذكر الآيات التي تمدح الصحابة من سورة الفتح، فالواجب محبتهم
والثناء عليهم وذكر محاسنهم، وقد قال الإمام مالك: «كان السلف يُعلّمون أولادهم حبّ
أبي بكر وعمر كما يُعلّمونهم السورة من القرآن»^٢.

وما أجمل تلك الكلمة التي ختم بها شيخ الإسلام ابن تيمية كلامه عن معتقد أهل السنة
والجماعة في الصحابة في الواسطية^٣ قال - رحمه الله -: «ومن نظر في سيرة القوم بعلم
وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا
يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله».

قال - رحمه الله -:

^١ ص ٢٩.

^٢ أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣١٣/٧).

^٣ العقيدة الواسطية بشرح الشيخ ابن عثيمين (٢٩٢/٢).

وبالقَدَرِ المقدورِ أَيْقِنُ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أَفِيحُ

انتقل هنا إلى الكلام عن الإيمان بالقضاء والقدر.

ولابن القيم كلمةٌ جليلةٌ تكتب بماء الذهب تلخص لك الكلام في الإيمان بالقضاء والقدر، قال - رحمه الله - في صدر كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل^١: «القَدَرُ بحرٌ محيطٌ لا ساحل له ولا خروج عنه لأحدٍ من العالمين، والشرع فيه سفينةُ النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها فهو من المغرقين».

الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان الستة قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - كما في حديث جبريل المشهور في الإيمان: «أَنْ تَوْمِنَ بِاللَّهِ» إلى أن قال: «وَتَوْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^٢.

وقال - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم^٣: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ».

والإيمان بالقدر له أربع مراتب: العِلْمُ، والكَتَابَةُ، والمَشِئَةُ، والخَلْقُ.

وقد جمعها النَّازِمُ في قوله:

عِلْمٌ، كِتَابَةٌ مَوْلَانَا، مَشِئَتُهُ وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينٌ

فلو سُئِلْتُ: ما القدر؟ فإنك تقول: هو علم الله بالكائنات، وكتابته لها، ومشئته، وخلقها

إياها، فالقدر هو هذه المراتب الأربع:

^١ (٧/١).

^٢ (٨).

^٣ (٢٦٥٥).

المرتبة الأولى: **العلم** فنؤمن بأن الله عَلِمَ ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأَنْفَال: ٧٥] مثلاً عَلِمَ الله ما لم يكن لو كان كيف يكون قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيَّاتٍ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأَنْعَام: ٢٨]، هم لا يُرَدُّونَ إلى الدنيا، لكن لو رُدُّوا إلى الدنيا فإن الله -تعالى- يعلم أنهم سيعودون إلى ما نُهُوا عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأَنْبِيَاء: ٢٢] هل رأيت أمحل من هذا؟ لا يوجد شيء هو أشد امتناعاً من أن توجد آلهة غير الله، لكن قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأَنْبِيَاء: ٢٢] فالله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

المرتبة الثانية: **الكتابة** فنؤمن بأن الله تعالى كتب كل شيء، ففي «صحيح مسلم»^١ عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»، وجمع هاتين المرتبتين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا العلم، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ هذه الكتابة.

المرتبة الثالثة: **المشيئة** ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] وللإمام الشافعي أبيات هي من أحسن ما قيل في القدر نظماً كما قال ابن عبد البر في الاستذكار^٢ قال

- رحمه الله -:

^١ (٢٦٥٣).

^٢ (٢٦٥/٨).

فَمَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ وَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ
وَمِنْهُمْ فَقِيرٌ وَمِنْهُمْ غَنِيٌّ وَكُلُّ بِأَعْمَالِهِ مُرْتَهَنٌ

المرتبة الرابعة: **الخلق** قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

مسألة: لو قال قائل في مراتب القدر: هي العلم، والكتابة، والإرادة، والخلق، عبر

بالإرادة بدل المشيئة، فهل هذه العبارة صحيحة؟

الجواب: غير صحيحة، فرُق بين الإرادة والمشيئة، فالإرادة نوعان: إرادة كونية، وإرادة

شرعية، فالإرادة الكونية لا بد أن تقع، وقد تكون فيما يُحبه الله، وقد لا تكون، فكل شيء في

الكون مرادٌ لله تعالى بالإرادة الكونية، ومن الإرادة الكونية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] هذه

الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة وهي التي من مراتب القدر.

النوع الثاني: الإرادة الشرعية وهذه لا تكون إلا فيما يُحبه الله، ثم قد تقع وقد لا تقع،

ومن الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] فالإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، والإرادة الشرعية مرادفة

للمحبة، وهاتان الإرادتان قد تجتمعان وقد ترتفعان وقد توجد إحداهما دون الأخرى،

فالقسمة رباعية.

١. إيمان أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مرادٌ لله كونًا وشرعًا، مرادٌ كونًا لأنه

وقع، ومرادٌ شرعًا لأنه يحبه الله.

٢. إيمان أبي جهل مراد شرعاً لا كوناً.

٣. كفر أبي جهل مراد كوناً لا شرعاً.

٤. كفر رجل مات على الإسلام غير مراد لا شرعاً ولا كوناً.

مسألة أخرى: كيف يُجمع بين قوله -صلى الله عليه وسلم-: «وتؤمن بالقدر خيره

وشره»^١ وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»^٢؟

الجواب: الشر لا يُضاف إلى الله -تعالى- استقلالاً تأدباً معه سبحانه وتعالى، وإنما

يُذكر في عموم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ثم الله -سبحانه وتعالى- لا يخلق شراً محضاً لا يكون لحكمة.

فالله -سبحانه وتعالى- هو خالق كل شيء لا يكون في ملكه ما لا يُريد، لكن لا يُضاف

الشر إليه استقلالاً تأدباً معه سبحانه وتعالى، وقد تأدب الجن فقالوا: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ

أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] فاستعملوا في الشر (أريد) ولم يصرحوا بالنسبة تأدباً معه سبحانه وتعالى.

وقد ضل في هذا الباب طائفتان: القدرية والجبرية، فالقدرية نفوا القدر، فالعبد عندهم

هو خالق فعله، والجبرية غلّوا في إثباته فالعبد عندهم حركته كحركة المرتعش فهو كالريشة

في مهب الريح، ويردّ على الطائفتين قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ هذا ردٌّ على الجبرية، وكل فعل رأته في القرآن مُضافاً إلى

^١ سبق تخريجه قريباً.

^٢ أخرجه مسلم (٧٧١).

العبد فهو ردُّ على الجبرية، فقله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فيه إثبات المشيئة للعبد، ففيه ردُّ على الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبورٌ على فعله.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه إثبات المشيئة لله، فهذا ردُّ على القدرية الذين نفوا القدر.

ومثله قوله -صلى الله عليه وسلم-: «اعملوا فكلُّ مُيسرٍ لِمَا خُلِقَ له»^١.

«اعملوا» ردُّ على الجبرية، «فكلُّ مُيسرٍ لِمَا خُلِقَ له» ردُّ على القدرية الذين نفوا القدر.

وحصلت قصة توضح فساد مذهب القدرية -والمعتزلة من القدرية- وهي أنه دخل أعرابيٌّ على عمرو بن عُبيد المعتزلي فقال: إن حمارة لي سُرقت فادع الله أن يردها علي، فقال عمرو بن عُبيد: اللهم إن حمارته سُرقت ولم تُرد سرقتها فاردها عليه، فقال الأعرابي: كُفَّ عني دعاءك الخبيث إن كانت سُرقت ولم يُرد سرقتها فقد يُريد ردها ولا تُردّ^٢. فهذا الأعرابي عرف بفطرته فساد قولهم.

قال الناظم -رحمه الله-:

ولا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا	ولا الحوض والميزان إنَّكَ تُنْصَحُ
وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ	من النار أجسادًا من الفحم تُطْرَحُ
على النَّهْرِ في الفردوس تحيا بمائه	كَجَبَّةِ حِمْلِ السَّيْلِ إذ جاء يَطْفَحُ
وإن رسولَ الله لِلْخَلْقِ شَافِعُ	وَقُلْ في عذابِ القبرِ: حَقُّ مُوَضَّحُ
ولا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا	فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وذو العرشِ يَصْفَحُ

^١ أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)

^٢ انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨١٦/٤)، ودفع إيهام الاضطراب ص ٣٦٦.

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه مقال لمن يهواه يُردي ويفضح
ولا تك مُرجئاً لِعُوباً بدينه ألا إنما المُرجئُ بالدين يَمزح



قال الشارح - وفقه الله - :

انتقل الناظم - رحمه الله - إلى الكلام عن الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، والإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة الواجب على كل أحد الإيمان بها.

وقد ذكر الناظم في هذه الأبيات المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر بعض الأمور الكائنة في ذلك اليوم العظيم، وهي: فتنة الملكين منكر ونكير، والحوض، والميزان، وإخراج عصاة الموحدين من النار، والشفاعة، وعذاب القبر.

قال - رحمه الله - : (ولا تُنكرن جهلاً نكيراً ومُنكرًا) منكر ونكير ملكان أسودان أزرقان، السواد في الوجه والزرق في العين، يأتيان الإنسان في قبره ويسألانه ثلاثة أسئلة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

قال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - في سلم الوصول^١:

وَأَنَّ كُلاً مُقْعَدٌ مَسْئُولٌ مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ
وَعِنْدَ ذَا يُثَبَّتُ الْمُهِيمُنُ بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَنَّمَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكُ
وهذان الملكان يسميان الفتانين؛ لأنهما يفتنان الناس في قبورهم.

^١ معارج القبول بشرح سلم الوصول (٧١٣/٢).

وسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه هو فتنة القبر.

والدليل على فتنة القبر قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فسرهما النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بفتنة القبر كما في البخاري^١

من حديث البراء -رضي الله عنه- أن النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ

فِي قَبْرِهِ أَتَى ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾».

ومن السُّنَّةِ أيضًا ما في الصحيحين^٢ عن أسماء -رضي الله عنها- أن النَّبِيَّ -صلى الله

عليه وسلم- قال: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَالَ: قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ

الدَّجَالِ».

ويدل له حديث البراء الطويل في المسند وغيره^٣.

والفتنة ليست خاصةً بهذه الأمة، بل هي للأمم كلها.

وقد ورد ما يدل على أنه يُسْتَشْنَى منها أصناف من الناس منهم:

١. **الأنبياء** لأنهم يُسأل عنهم.

٢. **الشهداء** فقد ثبت أن النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- سُئِلَ: ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ

في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «كُفَى بِبَارِقَةِ السَّيْفِ

^١ (١٣٦٩).

^٢ أخرجه البخاري (٩٢٢)، ومسلم (٩٠٥).

^٣ أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وهو في صحيح الجامع الصغير (١٦٧٦) (٣٤٤/١).

على رأسه فتنة^١. أخرجه النسائي^٢.

٣. من مات مرابطاً ففي صحيح مسلم^٣ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«رابط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان».

٤. من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة فقد أخرج الترمذي^٤ عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

عليه وسلم - أنه قال: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر».

٥. من لا تكليف عليه كالصغير والمجنون؛ لأن الفتنة فرع التكليف.

مسألة: هل يُفتن الكافر في قبره؟ الجواب: نعم. يُفتن الكافر في قبره جاء عند أحمد^٥

وأبي داود^٦ من حديث أنس - رضي الله عنه - عند ذكر فتنة القبر: «وأما الكافر والمنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري».

واسم الملكين منكر ونكير كما قال الناظم: (ولا تُنكرن جهلاً نكيراً ومُنكرًا) ثبت عند

الترمذي^٦ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا قُبر الميت أو قال: إذا قُبر أحدكم أتاه

ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر وللآخر النكير».

^١ (٢٠٥٣) وهو في صحيح الجامع الصغير (٨٢٧/٢).

^٢ (١٩١٣).

^٣ (١٠٧٤)، وقال الألباني في أحكام الجنائز ص ٣٥: الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

^٤ (١٢٢٧١) وصحح إسناده محققوه.

^٥ (٤٧٥٢).

^٦ (١٠٧١)، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٧٩/٣).

قال الناظم - رحمه الله -: **(ولا الحوض والميزان إنك تُنصَحُ)**.

الحوض: مجمع الماء العظيم الذي يكون في عرصات القيامة وَيَرِدُّهُ الْمُؤْمِنُونَ، وهو الموقف الوحيد من مواقف القيامة الذي لَمْ يَرِدْ ذكره في القرآن صريحًا، وقد بلغت الأحاديث فيه مبلغ التواتر، رواها أكثر من خمسين صحابيًّا كما جمع ذلك الحافظ ابن حجر، وذكر أن بعض المتأخرين أوصلها إلى ثمانين صحابيًّا^١.
وأما صفات الحوض فقد ثبت في الأدلَّة من صفاته^٢:

١. أن لون مائه **«أشدُّ بياضًا من اللبن»**، وفي رواية: **«من الثلج»**، وفي رواية: **«من**

الورق» والورق: الفضة.

٢. وأنه **«أبرد من الثلج»**.

٣. وأن **«ريحه أطيب من المسك»**.

٤. وأن **«طعمه أحلى من العسل»**.

٥. وأن **«كيزانه كعدد نجوم السماء»**، وفي رواية: **«لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء**

وكواكبها».

٦. وأن **«من شرب منه شربةً لَمْ يَظْمَأْ بعدها أبدًا»**.

٧. وأنه **«يَشْخُب فيه ميزابان من الجنة»** ومعنى يَشْخُب: يسيل.

٨. ومنها مساحته ثبت في الحديث: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء»** أخرجه

مسلم، وفي رواية له: **«عرضه مثل طول»**.

^١ انظر: فتح الباري (٤٦٩/١١).

^٢ عامتها في البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) و(٢٣٠٠) اتفاقًا أو انفردًا وبعض الألفاظ خارج الصحيحين.

ما الفرق بين الحوض والكوتر؟

الفرق الأول: الكوتر في الجنة، والحوض في عرصات القيامة.

الفرق الثاني: أن الكوتر أصل الحوض ومنه يُمدد، والحوض فرع عن الكوتر، فماء

الحوض من الكوتر.

والفرق الثالث: أن الكوتر خاص بالنبى - صلى الله عليه وسلم -، أما الحوض فورد عند

الترمذي ^١ أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: «**إن لكل نبى حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم**

أكثر واردة، وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة». صححه الألباني ^٢، وصححه الترمذي

إرساله ^٣، وهو ظاهر اختيار الحافظ ابن حجر ^٤، فإن ثبت الحديث فيكون هذا فرقاً ثالثاً.

ويُزاد عن الحوض جماعة قال - صلى الله عليه وسلم -: «**ألا ليُزادَنَّ رجالٌ عن حوضي**

كما يُزاد البعير الضالُّ، أناديهم: ألا هلمَّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول: سُحَقاً سُحَقاً» ^٥

أي بُعداً بُعداً.

والذي يُزادون عن الحوض أصناف:

الصنف الأول: **المرتدون** لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «**إنهم لم يزلوا مرتدين على**

أعقابهم» أخرجه البخاري ^٦ ومسلم ^٧. ومثلهم **المنافقون**.

^١ (٢٤٤٣).

^٢ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١١٧/٤).

^٣ عقب إخرجه له.

^٤ انظر: فتح الباري (٤٦٧/١١).

^٥ أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٤٩).

^٦ (٣٣٤٩).

^٧ (٢٨٦٠).

والصنف الثاني: **المبتدعة المحدثون** لقوله - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيحين^١:

«إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ».

والصنف الثالث: **من عَظُمَتْ جَرَائِمُهُمْ وَكَبُرَتْ ذُنُوبُهُمْ**.

ذكره ابن عبد البر في «التمهيد»^٢ والقرطبي في «التذكرة»^٣ وغيرهما.

ويدل لهذا الصنف الثالث ما أخرجه الإمام أحمد في المسند^٤ وصححه محققوه عن ابن

عمر - رضي الله عنهما - أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ

يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ، فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلَمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ

منه، وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضُ».

قال - رحمه الله -: **(وَالْمِيزَانُ إِنَّكَ تُنصَحُ)**

الميزان موقف آخر من مواقف القيامة.

تُحْصَى أَعْمَالُ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوزَنُ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ *

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ

وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

وفي الصحيحين^٥ أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ،

خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

^١ أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٢٩٥).

^٢ (٢٦٢/٢٠)، والاستنكار (١٩٥/١).

^٣ ص ٧١١، والجامع لأحكام القرآن (١٦٨/٤).

^٤ (٥٧٠٢).

^٥ أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

ثم هل هو ميزانٌ واحدٌ أو متعدد؟ جاء في السُّنَّة ما يدل على أنه ميزانٌ واحدٌ لجميع الأُمَّة، وذلك ما أخرجه الحاكم^١ عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُوضَع الميزان يوم القيامة، فلو وُزن فيه السماوات والأرض لوسعت. فتقول الملائكة: يا رب، لمن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك». هذا الحديث صحح بعض العلماء وقفه على سلمان الفارسي - رضي الله عنه -، وله حُكْم الرفع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي^٢.

وأما جمعها في الآيات: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٣] فباعتبار الموزون.

ومع أنه يسع السماوات والأرض فهو دقيقٌ يَزِنُ مثاقيل الذرِّ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقد دلت الأدلة على وزن الصُّحُف والعمل والعامل.

أما دليل وزن الصُّحُف فحديث صاحب البطاقة وهو حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سِجِلًّا كل سِجِلٍّ مثل مد البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك

^١ (٨٧٣٩).

^٢ انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٦١٩).

اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: **أخْضِرْ وَزَنِّكَ**، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: **إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ** قال: **«فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»**^١.

وأما دليل وزن العمل فقوله -صلى الله عليه وسلم-: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**^٢ وهذا عمل.

وأما دليل وزن العامل فقوله -صلى الله عليه وسلم- في ساقِي ابن مسعود -رضي الله عنه-: **«والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»**^٣.
وأما الذي يدخل في الوزن فثلاثة أشياء:

الأول: ما عمله الإنسان في حياته سواءً انقطع بموته أو استمر ثوابه بعد موته.
والثاني: ما يُهدى إليه إهداءً شرعياً من حسنات غيره وهو الصدقة بالإجماع والحج والعمرة وقضاء الصيام عنه ففي الصحيحين^٤: **«من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه»**.
وهذه مسألة خلافية بين الفقهاء بعضهم خصه بصيام النذر، وبعضهم جعله في الصوم الواجب كذلك.

^١ أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦١/١).

^٢ سبق تخريجه قريباً.

^٣ أخرجه أحمد (٣٩٩١) وصححه محققوه.

^٤ أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

ويتنفع العبد بدعاء غيره له، لكنه لا يعتبر من الإهداء لأن ثواب الداعي للداعي، وإنما يتنفع الميت بالدعاء.

وأما إهداء الذكر وقراءة القرآن والصلاة فيُعَوِّزُها الدليل الخاص والعبادات توقيفية، ومسألة إهداء القُرب الخلف فيها خلافٌ فقهي.

الثالث: ما ينتج من المقاصّة بين المظلوم والظالم يوم القيامة، فيؤخذ للمظلوم من حسنات ظالمه، أو يؤخذ من سيئات المظلوم فتوضع على الظالم إن فنت حسنات الظالم. فالذي يدخل في الوزن هذه الأشياء الثلاثة: ما عمله الإنسان في حياته، وما يُهدى إليه إهداءً شرعياً من حسنات غيره، وما ينتج من المقاصّة.

وهناك أعمالٌ تثقل في الميزان أعظم من غيرها فعلى المسلم أن يحرص عليها منها:

١. **الحمد لله** قال -صلى الله عليه وسلم-: «**والحمد لله تملأ الميزان**»^١ لاحظ أن

الميزان كما سبق ميزان عظيم لو وُزنت فيه السماوات والأرض لوسعها ومع ذلك يملؤه أن تقول: الحمد لله.

٢. **سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**، كما قال -صلى الله عليه وسلم-:

«**ثقيلتان في الميزان**»^٢.

٣. **حُسن الخلق** قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ما من شيءٍ في الميزان أثقل من**

^١ أخرجه مسلم (٢٢٣).

^٢ سبق تخريجه قريباً.

حُسْنُ الْخُلُقِ أخرجه أبو داود^١ والترمذي^٢.

٤. ما ورد في المسند^٣ من قوله -صلى الله عليه وسلم-: **«بَخٍ بَخٍ لَخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ**

فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ

يُتَوَفَّى فِيحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ».

٥. وأعظم ذلك **كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ** لحديث صاحب البطاقة^٤.

وأما أحوال المسلمين في الوزن فهم على أحوالٍ ثلاثة:

الحال الأولى: رُجْحَانُ الْحَسَنَاتِ، فمن رجحت حسناته ولو بحسنة واحدة فإنه يدخل

الجنة بلا سابقة عذاب، **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾** [القارعة: ٧] والناس

متفاوتون في هذا تفاوتًا عظيمًا.

الحال الثانية: رُجْحَانُ السَّيِّئَاتِ فهؤلاء أهل المحنة والبلية، وقد جزم ابن حزم وابن

القيم -رحمهما الله- بأن من رجحت سيئاته فإنه يدخل النار حتمًا وإن كان لا يخلد فيها،

وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال كثير من أهل العلم: إنه تحت المشيئة فيدخل النار إلا أن تحصل له شفاعَةٌ قبل

دخوله النار، لأن الشَّفَاعَةَ تَحُلُّ والناس على الصراط، والصراط بعد الميزان، كما في

الحديث بعد ذكر الصراط: **«فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ»**^٥.

^١ (٤٧٩٩).

^٢ (٢٠٠٣) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٣٥/٢).

^٣ (١٥٦٦٢)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٢/٣).

^٤ سبق تخريجه قريبًا.

^٥ أخرجه ابن حبان (٤٦٤٢)، وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان (٦٢/٧).

الحال الثالثة: **تساوي الحسنات والسيئات**، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف ﴿وَعَلَى

الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وهذا هو الثابت عن الصحابة في أصحاب الأعراف أنهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهو المتقرر عند أهل العلم، ومآل أصحاب الأعراف إلى الجنة.

قال ابن حزم في كتاب التلخيص لوجوه التخليص لما ذكر أصحاب الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم: «وليتنا نكون من هذه الصفة فوالله إنها لمن أبعد آمالي التي لا أدري كيف التوصل إليها إلا برحمة الله تعالى، وأما بعمل أعلمه مني فلا».

مسألة: هل يوزن الكفار؟ الجواب: نعم يوزنون والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا

كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] وسياق الآيات في

الكفار وهي صريحة في وزنهم، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]

فالمعنى أنهم لا قدر لهم عند الله، أو المنفي الوزن النافع.

وفائدة وزن الكفار: إظهار عدل الله تعالى، وإظهار خزيهم، ومعرفة منزلة الكافر في أي

دركات النار هو.

قال - رحمه الله -:

وَقُلْ: يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنْ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفَرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحَبَّةِ حِمْلٍ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الكلام هنا عن أهل الكبائر الذين دخلوا النار بسبب كبائرهم، فهؤلاء يُخرجون من النار وقد تغيروا، فيُلَقَّون في نهر الحياة فيَحْيَوْنَ بمائه، وقد دل على ذلك ما في الصحيحين^١ من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال - صلى الله عليه وسلم -: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان، فيُخرجون منها قد اسودوا فيُلَقَّون في نهر الحيا أو الحياة» شك مالك - الحيا: المطر، والحياة قيل له: نهر الحياة لأنه يحيا من انغمس فيه - «فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» المعنى أنهم يخرجون بوجوه ناضرة مسرورة.

(كَحَبَّةِ حِمْلٍ السَّيْلِ) وفي بعض النسخ: (كَحَبِّ حَمِيلٍ السَّيْلِ) وهما بمعنى، الحبة: بزور الصحراء مما ليس بقوت، وحميل السيل: ما يحمله السيل.

ثم قال - رحمه الله -: (وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ) المسلمون العُصاة من دخل منهم النار لا يَخْلُدُ فيها بل يُخْرَجُ منها، قال - صلى الله عليه وسلم -: «وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^٢.

^١ أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

^٢ أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) واللفظ له.

أعظم سبب لنيل شفاعَةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- هو الإخلاص والتوحيد، فاعجَب ما شئت أن تعجب ممن يجعل عبادته لغير الله من الأنبياء والأولياء ومن دونهم لينال منهم الشَّفاعَةُ! انظر كيف يطلب الشَّفاعَةُ من الوجه الذي يحرمه منها!

وهناك ثلاث شفاعات أجمع العلماء على أنها خاصةٌ بالنبي -صلى الله عليه وسلم-:

الأولى: شفاعته -صلى الله عليه وسلم- في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم، وهي المقام المحمود، فهذه الشَّفاعَةُ العظمى التي تكون لجميع الخلائق بأن يبدأ الله في حسابهم.

والثانية: شفاعته -صلى الله عليه وسلم- لأهل الجنة أن يدخلوها.

والثالثة: شفاعته -صلى الله عليه وسلم- في عمه أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب.

وثمَّ شفاعات أخرى له -صلى الله عليه وسلم- ولغيره، منها:

١. الشَّفاعَةُ في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها، يدل لها حديث: «انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»^١.

٢. الشَّفاعَةُ في أقوام استحقوا دخول النار ألا يدخلوها، وهذه الشَّفاعَةُ أثبتها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية وابن كثير وابن أبي العز وابن حجر في آخرين، لكن لما ذكر ابن القيم في تهذيب السُّنَنِ^٢ هذا النوع من الشَّفاعَةِ قال: «لم أظفر فيه بنص». وفيه أحاديث صريحة، لكنها لم تصح، ومن أثبتها استدل بعموم ما صح عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- من قوله: «شفاعتي لأهل الكبائر من

^١ أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤).

^٢ (٣١٣/٣).

أمتي^١.

واستدل أيضًا لهذا النوع من الشفاعة بحديث مرور الناس على الصراط وفيه قوله - صلى الله عليه وسلم - : «وَنَبِيَّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^٢، والدعاء بالسلامة نوع من الشفاعة، وعند ابن حبان^٣: «فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَّتِ الشَّفَاعَةُ لِلَّهِمَّ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ» فمن أثبت هذا النوع من الشفاعة استدل بهذه الأدلة وهو مذهب الجمهور.

والشفاعة هي التوسط بجلب خير أو دفع شر.

وهي شفاعتان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

فالمثبتة هي الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

[البقرة: ٢٥٥].

والمنفية هي الواردة في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

والمثبتة هي التي اجتمعت شروطها وهي ثلاثة شروط.

الأول: إذن الله بالشفاعة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والثاني: رضا الله عن الشافع ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ

قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

والثالث: رضا الله عن المشفوع له ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

^١ أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (٦٩١/١).

^٢ أخرجه مسلم (١٩٥).

^٣ أخرجه ابن حبان (٤٦٤٢)، وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان (٦٢/٧).

وقد اجتمعت الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي

شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذا الإذن بالشفاعة ﴿وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]

عن الشافع وعن المشفوع له.

والذين يشفعون يوم القيامة يرجعون إلى ثلاثة أصناف: الملائكة، والنبيون،

والمؤمنون.

وقد جمعهم حديث واحد في صحيح مسلم^١ وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-:

«شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين».

قال -رحمه الله-: (وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ) عذاب القبر حق وقد دل على ذلك

من القرآن أدلة كثيرة منها:

١. قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، الواو تقتضي المغايرة فيكون عرضهم على النار

غُدُوًّا وَعَشِيًّا حاصلًا في البرزخ وهم في قبورهم ثم يوم القيامة يُدْخِلُونَ أَشَدَّ

العذاب في نار جهنم.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا

أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية فهذا عذابٌ

مُتَّصِلٌ بالموت، فهم يُعَذَّبُونَ عند قبض أرواحهم، وقول الملائكة لهم: اليوم

تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ المراد به عذاب البرزخ الذي أوله يوم القبض والموت^٢.

^١ (١٨٣).

^٢ انظر: مفتاح دار السعادة (١/١١٧).

٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَذْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] فهذه الإذاقة هي في البرزخ، وأولها

حينُ الوفاة^١.

٤. وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] المرة

الأولى: في الدنيا، والثانية: في البرزخ في القبر، ثم يُردُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم.

٥. وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] الفاء تفيد التعقيب،

أي أغرقوا في الدنيا فأُدْخِلُوا نارا بلا فاصل.

٦. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا * وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤] قال أبو هريرة - رضي الله عنه -: «عذاب القبر»^٢ وجود

إسناده الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره^٣.

والأحاديث في إثبات عذاب القبر قد بلغت مبلغ التواتر^٤، ومن ذلك قوله - صلى الله

عليه وسلم - كما في صحيح مسلم^٥: «لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر».

^١ انظر: المصدر السابق.

^٢ أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٧/١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٤٣٩/٧)

^٣ (٣٢٤/٥).

^٤ انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٢٤.

^٥ (٢٨٦٧).

وفي صحيح مسلم^١ أيضًا أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِذَا تَشْهَدُ أَحَدَكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

والعذاب والنعيم واقعٌ على الروح والبدن، باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة، حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية فليس خاصًّا بالروح وليس خاصًّا بالبدن، بل الروح تُنَعَّم والبدن يُنَعَّم، وكذلك العذاب فالروح تُعَذَّب والبدن يُعَذَّب.

ثم عذاب القبر هل هو دائم أو منقطع؟ أما الكفار فعذابهم دائمٌ كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فهم يُعْرَضُونَ على النار غدوًّا وعشيًّا إلى أن تقوم الساعة.

أما العصاة فمنهم من يكون عذابه دائمًا ويشهد له ما في صحيح البخاري^٢ أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ومنهم من ينقطع عذابه.

وأما أسباب عذاب القبر فالسبب المُجْمَل هو المعاصي ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا * وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ثبت عن أبي هريرة أنه قال: «عَذَابُ الْقَبْرِ»^٣.

ومن أسباب عذاب القبر: النسيمة وعدم التنزه من البول كما في حديث صاحبي القبرين

^١ (٥٨٨).

^٢ (٣٤٨٥).

^٣ سبق تخريجه قريباً.

في الصحيحين^١، ومنها: جر الإزار خيلاء كما في حديث البخاري السابق، ومنها الكذبة تبلغ الآفاق والزنا والربا والنوم عن الصلاة.

وأما أسباب الوقاية فالسبب المُجمل هو فعلُ الحسنات قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] قال مجاهد: «في القبر»^٢.

وأما الأسباب المفصلة فمنها قراءة سورة تبارك كل ليلة، ثبت عند النسائي في الكبرى^٣ عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكُنّا في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نُسَمّيها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب».

ومن الأسباب: كثرة الاستعاذة بالله منه، ومنها: الشهادة في سبيل الله فقد ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لشَهِيد عند الله ست خصال» وذكر منها أنه «يُجار من عذاب القبر»^٤.

ثم انتقل الناظم -رحمه الله- إلى بيان حُكم مرتكب الكبيرة، وحذر من مذهبي الخوارج والمرجئة.

قال -رحمه الله-: (وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا) هذه أول مسألة نَشَبَ فيها الخلاف بين فرق الأمة يقول: لا تعتقد كفر أهل الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا، قال -صلى الله عليه-

^١ أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

^٢ أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٦/١٨).

^٣ (١٠٤٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣/٢).

^٤ أخرجه أحمد (١٧١٨٢)، والترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩) وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢١٣)، (٦٤٧/٧).

وسلم - كما في البخاري^١: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم»
 وكلامه عن المسلم المصلي إذا ارتكب معاصي دون الكفر والشرك، أما إذا جاء بمكفر
 فالمعين لا بد فيه من إقامة الحجة، وهذا إلى أهل العلم، وأما العامي فليس له من الأمر
 شيء، شأنه الاستفادة من أهل العلم، قال ابن القيم - رحمه الله -:

الكفر حقُّ الله ثم رسوله بالنَّصِّ يُثَبَّت لا بقولِ فلان
مَنْ كان ربُّ العالمين وعَبْدُهُ قد كَفَّرَاهُ فذاك ذو الكُفْرانِ
 ومن الأدلة على أن العاصي لا يُكفر بمعصيته قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] سماهما مؤمنتين، والاقتيال من الكبائر، وقوله تعالى:
 ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] سمي القاتل أخاً لوليِّ مقتول، والقتل من الكبائر.
 ولو كفر مرتكب الكبيرة ما بقي أحد قال: (فكلهم يعصي وذو العرش يصفح) قال -
 صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون
 فيستغفرون الله فيغفر لهم»^٢، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «كل بني آدم خطاء وخير
 الخطائين التوابون»^٣.

ويقال في مرتكب الكبيرة: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته.
 فأهل السنة لا يُكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما تفعله الخوارج.
 قال:

^١ أخرجه البخاري (٣٩١).

^٢ أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

^٣ أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٥١٥) (٨٣١/٢).

ولا تعتقد رأي الخوارج إنَّه مقال لمن يهواه يُردي ويفضِّح

سَمَّاهُ رَأْيًا لَأَنَّهُ مِنْ نَتَائِجِ عَقُولِهِمْ، وَرَأَيْهِمْ هَذَا الَّذِي حَذَرَ النَّاظِمُ مِنْهُ هُوَ تَكْفِيرُ مَرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ، فَمَنْ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً فَهُوَ عِنْدَ الْخَوَارِجِ خَارِجٌ مِنَ الدِّينِ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ فِي النَّارِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَوَافَقَهُمُ الْمُعْتَزِلَةُ فِي الْحُكْمِ فِي الْآخِرَةِ، لَكِنْهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ فِي الدُّنْيَا فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، لَكِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ لَمْ تَشْفَعْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ! فَهُوَ عِنْدَهُمْ خَالِدٌ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

ولا تعتقد رأي الخوارج إنَّه مقال لمن يهواه يُردي ويفضِّح

لَا حَظَّ قَوْلُهُ: (لَمَنْ يَهَوَاهُ) فَأَقْوَالُهُمْ مَجْرَدُ أَهْوَاءٍ، وَقَدْ صَحَّ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ ١ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ» فَقَوْلُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى هَوًى وَمَأْلُهُ الرَّدُّ وَالْفُضَيْحَةُ كَمَا وَصَفَهُ النَّازِمُ بِأَنَّهُ (مَقَالٌ لَمَنْ يَهَوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضِّحُ).

ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْدِّينِ يَمْرُحُ

مَا أَصْدَقَهُ مِنْ وَصْفٍ! الْمُرْجِيَّةُ يَلْعَبُونَ بِالْدِّينِ يَقُولُونَ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ، فَفَتَحُوا بَابَ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبَّقَاتِ، فَالْعَاصِي إِذَا قِيلَ لَهُ: إِنَّ إِيْمَانَكَ كإِيْمَانِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَوْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ مِنَ الْمَعَاصِي فَالنتيجة ألا يحجزه عن المعصية شيء وأن يتخذ الدين لهواً ولعباً.

مَرَّ أَحَدُ الْمُرْجِيَّةِ عَلَى رَجُلٍ يَشْرَبُ الْخَمْرَ فَشْتَمَهُ الْمَخْمُورُ فَقَالَ الْمُرْجِيُّ: أَهَذَا جَزَائِي وَقَدْ جَعَلْتُكَ مُؤْمِنًا كَامِلًا الْإِيمَانُ ٢!

١ (٧/١).

٢ التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية ص ١٠٠

والمرجئة فَرَّقُ يجمعهم إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

قال الناظم - رحمه الله - :

وقل: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي فِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَغْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّتُ وَتُصْبِحُ



قَالَ الشَّارِحُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - :

انتقل الناظم - رحمه الله - إلى الكلام عن الإيمان وزيادته ونقصانه.

قال - رحمه الله - :

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحٌ
(وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ) بِاللِّسَانِ (وَنِيَّةٌ) بِالْقَلْبِ (وَفِعْلٌ) بِالْجَوَارِحِ.

يدل لهذا قوله - صلى الله عليه وسلم -^١: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ قَالَ: بَضْعٌ وَسِتُونَ

شُعْبَةٌ فَأَعْلَاهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هذا قولٌ باللسان «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» هذا

عملٌ بالجوارح «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» هذا من عمل القلب، فالإيمان قولٌ باللسان،

ونيةٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

ويدل لدخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]

^١ أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

المقصود بالإيمان هنا: الصَّلَاةُ أُطلق الجميع وأريد الجزء.

وكذلك حديث وفد عبد القيس لما قال لهم النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -^١: «أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» فسرّه بقوله: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصَّلَاة»، وهذا عمل «وإيتاء الزَّكَاة» وهذا عمل «وصوم رمضان» وهذا عمل، «وَتُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ» وهذا عمل. هذه الثلاثة مُصَرَّحٌ بها صَرَّحَ بها النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لذا قال: (على قولِ النبيِّ مُصَرَّحٌ).

ثم قال:

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي فِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ
الإيمان يزيد وينقص قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] هذا تصريح بزيادة الإيمان، وقد ورد التصريح بزيادة الإيمان في ستة مواضع من القرآن، وهو كثير من حيث المعنى ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] فهذا دليل على زيادة الإيمان؛ لأن زيادة الهدى زيادة في الإيمان، ويدل للنقص قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه مسلم^٢.
وفي الصحيحين^٣: «ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودين...».

وكل دليل يدل على زيادة الإيمان فإنه يدل على نقصه كما نص على ذلك الإمام أحمد.

^١ أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

^٢ (٤٩).

^٣ أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

وقال ابن عيينة - رحمه الله -: «ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص»^١.

وقد صرّح بذلك الصحابة، فهذا عُمير بن حبيب الخطمي - رضي الله عنه - وهو من

أصحاب الشجرة قال: «الإيمان يزيد وينقص قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله

- عز وجل - وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضعنا فذلك نقصانه»^٢.

وقد أحصى الشيخ عبدالرزاق البدر - حفظه الله - عن عشرة من الصحابة القول بزيادة

الإيمان ونقصانه في كتابه زيادة الإيمان ونقصانه^٣.

وقد نقل الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه جمعٌ من الأئمة، كالإمام أحمد والبخاري

وشيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في آخرين كثر^٤.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في الداء والدواء أن الله - تعالى - رتب في كتابه على

الإيمان نحو مئة خصلة، كل خصلةٍ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها.

قال - رحمه الله -:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أركى وأشرح

لا تبني دينك وعقيدتك على الآراء والأقوال المحدثّة المخترعة، بل ابنها على كتاب الله

وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - (فقول رسول الله أركى) أظهر وأنقى وأخلص

^١ أخرجه الأجرى في الشريعة (٦٠٥/٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨٥٠/٢).

^٢ أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٢٧)، والأجرى في الشريعة (٥٨٤/٢)، واللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠١٩/٥).

^٣ ص ١٢٧.

^٤ انظر: المصدر السابق ص ١٢٣.

^٥ ص ١٧٥.

(وأشرح) للصدر قال - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بَسَنَّتِي وَسَنَةُ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنْ كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^١.

وقال عبد الله بن مسعود: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ»^٢.

وقال - رضي الله عنه - : «عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»^٣ أي عليكم بما كان عليه النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم -.

وقال - رضي الله عنه - : «إِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنَّكُمْ سَتُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ مُحَدَّثَةً فَعَلَيْكُمْ بِالْهَدْيِ الْأَوَّلِ»^٤.

والناس يوم القيامة لَنْ يُسْأَلُوا عَنْ آرَاءِ الرِّجَالِ وَأَقْوَالِهِمْ، وَإِنَّمَا سَيُسْأَلُونَ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] هل اتبعتموهم أو خالفتموهم، ولقد أحسن القائل:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارُ نِعَمَ الْمَطِيَّةِ لِلْفَتَى آثَارُ
لَا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
وَلَرَبَّمَا جَهَلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى وَالشَّمْسُ بَارِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

والرأي المذموم هو الرأي المخالف للكتاب والسنة ولَمَّا كان عليه سلف الأمة، أما

^١ أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٤٥٥) (١٠٧/٨).

^٢ أخرجه أحمد في الزهد (٨٩٦)، والدارمي في السنن (٢١١).

^٣ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢١٥٣٩)، والدارمي في السنن (١٤٤).

^٤ أخرجه حماد بن السري في الزهد (٤٩٨)، والدارمي في السنن (١٧٤)، ومحمد بن نصر المروزي في السنة (٨٠).

الرأي الذي يُفسّر النصوص ويبين وجه الدلالة منها ويُقررها ويسهل طريقة الاستنباط منها فهذا من الرأي المحمود؛ لأنه مبني على الكتاب والسنة، وقد قال ابن المبارك: «ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يُفسر لك الحديث»^١.

قال بعضهم:

الفقه في الدين بالآثار مقترنٌ فاشغل زمانك في فقه وفي أثرٍ
فالشغل بالفقه والآثار مُرتفعٌ بقاصد الله فوق الشمس والقمرِ

ثم قال - رحمه الله -: (ولا تكُ من قومٍ تلَهُوا بِدينِهِم) من أهل البدع والأهواء، أو من أهل الفسق والفجور (فتطعنُ في أهل الحديث وتقذحُ) نتيجةً اتخاذِ الدين لهواً ولعباً الطعنُ في أهل الحديث. والطعن في أهل الحديث هو علامة أهل الأهواء كما قال أبو حاتم الرازي: «علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر»^٢.

ومصطلح أهل الحديث إذا ذكره علماء الاعتقاد في مقابل أهل البدع فالمقصود بهم أهل السُّنة والجماعة وليس المقصود المشتغلين بالحديث روايةً ودرايةً. نَبّه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى^٣، ولهذا لما بلغ الإمام أحمد عن رجلٍ أنه ذكر عنده أهل الحديث فقال: «قوم سوء» قام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول: «زَندِيقُ زَندِيقُ زَندِيقُ» ودخل بيته^٤. ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ثم قال^٥: «فإنه عرف مغزاه» أي عرف مغزى

^١ أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٤٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢٠٧٣).

^٢ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٠٢/١).

^٣ انظر: مجموع الفتاوى (٩٦/٤).

^٤ أخرجه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص ٧٤، وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (٧٤/٢).

^٥ انظر: مجموع الفتاوى (٩٦/٤).

الرَّجُل من قوله: «قوم سوء» لأن الطعن في أهل السُّنَّة طعنٌ في السُّنَّة التي يحملونها.

قال - رحمه الله -:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيُّتُ وَتُصْبِحُ

ختم منظومته هذه التي جمع فيها أصولاً عظيمة في اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، بقوله:

(**إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ**) ما زائدة (**الدَّهْرَ**) أي مُدَّةَ حَيَاتِكَ، فهذا الاعتقاد الذي ربطت عليه قلبك لا

ينفعك إلا إذا بقيت عليه حتى يتوفاك الله كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(**إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ**) قوله: (**صَاحِ**) ترخيم صاحب. قال الحريري:

وَقَوْلُهُمْ فِي صَاحِبٍ: يَا صَاحِ شَذَّ لِمَعْنَى فِيهِ بِاصْطِلَاحٍ

(**إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ**) أي هذه الأصول التي بينها لك في هذه المنظومة:

- وقد ابتدأها بالحث على التمسك بالكتاب والسنة.
- ثم بين المعتقد في القرآن.
- ثم بين المعتقد في جملة من صفات الله تعالى، وما لم يُذكر منها فإن ما ذكر يدل عليه.
- ثم بين المعتقد في الصحابة الكرام - رضي الله عنهم -.
- ثم الإيمان بالقضاء والقدر.
- ثم الإيمان باليوم الآخر وبعض مسائله.
- ثم ذكر حُكْم مرتكب الكبيرة.
- ثم تكلم عن الإيمان وزيادته ونقصانه.

• ثم ختم منظومته بالتحذير من الرأي المذموم ومن القدح في الحديث وأهله.

إذا اعتقدت هذه العقيدة وثبتَّ عليها حتى تلقى الله تعالى بها فأنت على خيرٍ في كل أحوالك، فالمعتقد الصحيح يورث الخير في الحال والمآل.

وفي ختم منظومته بهذا حثُّ على الثبات على هذا المعتقد الحق.

ومن أنعم الله تعالى عليه بهذه العقيدة الصافية الواضحة المطابقة للفطرة، وجد في نفسه الطمأنينة التامة والراحة العظيمة بهذا المعتقد الحق الذي تلقَّاه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وسوءُ الخاتمة -أعاذنا الله منها- والتَّبَدُّلُ والتَّنَقُّلُ والتَّلَوُّنُ في الدين لا تكون لمن استقام ظاهره وصَلَحَ باطنه، ما سَمِعَ بهذا ولا عَلِمَ به والله الحمد كما يقول عبد الحق الإشبيلي فيما نقله عن ابن القيم في الداء والدواء^١ وإنما تكون لمن له فساد في العقد، أو إصرارٌ على الكبائر، وإقدامٌ على العظائم.

وعلازمة إرادة الله بعبده الخير أن يوفقه لسلوك سبيل السلف الصالحين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان كمالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ والأوزاعيِّ والثوريِّ ومن كان على مثل طريقتهم، فمن رَغِبَ عن سلوك سبيلهم إلى أصحاب الكلام فقد خرج من اجتماعٍ إلى تَشَتُّتٍ، ومن نظامٍ إلى تَفَرُّقٍ، ومن أُنْسٍ إلى وَحْشَةٍ، والاعتقاد الصحيح من أعظم أسباب الثبات كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في اللامية التي تُنسب إليه:

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَنْشِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

وهذه الصفة خاصةً بعلماء السُّنَّة دون غيرهم، وقد سبق في شرح البيت الأول ذِكْرُ كثير من خبر أهل الكلام الذين يذمون هذا العِلْمَ ، ويظهرون في آخر حياتهم الندم والتوبة، فأهل السُّنَّة الذين بنوا معتقدهم على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والمأثور عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان هم الذين يشعر كل واحدٍ منهم براحة في قلبه، وطمأنينة في نفسه، وأنسٍ وسعادةٍ، بل وفرحٍ ولذَّةٍ بهذا المعتقد الحق الذي وفقه الله إليه، وهذا أمرٌ لا يجده أيُّ صاحب هوى، وهيئات أن يجده، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] والله تعالى أعلم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ